# البـقـجـة

يشاهد مخيم اليرموك على شاشة التلفاز، صورٌ غريبةٌ عجيبةٌ، تمر أمام ناظره، فعادت به ذاكرتُه إلى وسط القرية، حيث الرّجال مجتمعون، هذا يجلس على صخرة ملساء، وآخر يتكأ على حجر، وثالث خلع حطته ووضعها تحت مرفقه، وآخر يلفّ سيجارة (الهيشة) من علبة حديدية صدئة، أما الصبي، فرغم صغره كان يجلس على صخرةٍ صمّاء مع رجال القرية، يستمع إلى أحاديثهم الشيّقة بتمعّن، ويسترعي انتباهه جيداً كلما حاول أحدٌ من الكبار أن يهمس لمن يجلس قربه بحديث خاص، فيدرك أن القصة مهمة، وتحمل سرّاً عميقاً، يسمع بعض كلماتها، ويكمل الباقي في خياله. وفي هذه الحالة لا يكون له نصيب في الحديث، وحظه كله يكون في الاستماع والتأمل فقط، فيضحك عندما يضحكون، ويندهش عندما لا يفهم من أحاديثهم شيئاً.

ولكن (ابو جمال) في كل مرة يأتي إلى مكان الاجتماع، يبدأ في الحديث معه، يخبره عن عمله القديم في يافا، وكيف كان يحمل صناديق البرتقال، التي تفوح منها رائحة كالمسك، ويضعها في الباخرة التي كانت تنقلها إلى أوروبا، ويقول: البرتقان

اليافوي يا عمي فش زيو، ريحتو طيبي وطعمو زي العسل. ثم يحدّثه عن ( البقجة) التي سيحضرها له.

-الاسبوع الجاي جايتني بقجة إمرتبي، بدّي أحسب حسابك فيها.

-شو هي البقجة يا عمي يابو مرّة؟

-إحرام فيه أواعي: بلاطين بتتمزعنش، وبلايز امكلمات، وكنادر شلبيات، بطلعنش ريحة زي إلي عنا، بخلينك ترمح إرماح، وتصير إتنُط زي الغزال، ومتحسش بالتّعب... هاذي يا عمي من برّة. وما أن يأتي باقي الفريق، حتى يبدؤوا لعب (السيجة)، فتعلو ضحكاتهم، أما الصبي فيذهب خياله إلى ذلك الحذاء الذي سيجعل منه أرشق طفل في الحارة.

وفي عصر اليوم الثاني، يترك أولاد الحارة يلعبون( السبع حجار) مع تلك الطابة التي أحضرها أحد الأطفال الذي يعمل والده عاملاً في بلاد (غربة)، فقد أعطاه إياها معلمه اليهودي، وقال له:

-اسمع هازي لابنك، ما اتظلكو تخكوا عنا مجرمين، اخنا كويسين، مش هيك يا خبيبي؟

-اه يا خواجا هيك... انتو كويسين.

يجلس الصبي متوسداً حجراً كبيراً كالكبار، ما يفتأ أن يتخلى عنه عندما يحضر رجل كبير في السن... وينتظر الخميس؛ ليحصل على البقجة.

-اه يا عمي يا ابو جمال، وين البقجة؟

-والله جماعتي موصلوش، إظّاهر انها كمية كبيرة، والمرّة هاي فيها جرازي صوف املونات... انت شو بدك لونها؟

-أي لون مش مهم.

-لا، بزبطش، لازم اتحدد اللون.

-اسمر امنيح.

-الخميس الجاي، بتيجي هان العصر، مع كسرة الفاي، مُش تتأخر.

-لأ، مش رح أتأخر.....

ويعود مرة أخرى يعيش الحلم الجميل، والبلوزة السوداء ما زالت حلماً جميلاً يتمنى أن يتحقق، وينتظر البقجة...

ورغم مرور السنين ظل كثيرون يأخذون البقجة ويفرحون بها في ظل انعدام الأمن، ولكنه يرى البقجة اليوم أصبحت أكثر أناقة، لتُحمل في حقائب جلدية سوداء، ينظر إلى شاشة التلفاز فيجد أن النساء ما زالن يحملنها على رؤوسهن أمامه في مخيم اليرموك وغيره، وهن (يجرجرن) أطفالهن في رحلة النسيان

**الطويلة التي أراد منها أعداء الشعب إنهاء قضيته وطمسها للأبد، فلا الآباء عادوا، ولا الأطفال نسوا قصة أبائهم، وظلت (البقج) بين أيدهم وعلى رؤوسهم... وما زالوا يسيرون.**